

## أعجاز النخل في القرآن الكريم

د. فاضل حسن شريف

[sharif.fadhil@gmail.com](mailto:sharif.fadhil@gmail.com)



عن تفسير الميسر: قال الله تعالى عن أعجاز ومشتقاتها «تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» ﴿القمر 20﴾ أعجاز اسم، أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ: كأنهم جذوع النخل المقلوع من الأرض (جثث بلا رؤوس)، أعجاز نخل: أصوله بلا رؤوس نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ: النخل المنقلع من أصله. تنزع فعل، تَنْزِعُ النَّاسَ: تقتلعهم من أماكنهم، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً الْبَرْدِ، في يوم شَوْمٍ مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، تقتلع الناس من مواضعهم على الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، ويفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المنقلع من أصله. قوله جلت قدرته «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» ﴿الحاقة 7﴾ أعجاز نخل: أصولها. و الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء أو الجسم، و الأعجز:

العظيم العجز. فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابة، لا تَفْتُرُ ولا تنقطع، فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متأكلة الأجواف. فهل ترى لهؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟. قوله عز وجل «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ» قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» ﴿المائدة 31﴾ أَعَجَزْتُ: أحرف استفهام، عَجَزَ فعل، تُ ضمير. لما قتل قابيل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غرابًا يحفر حفرةً في الأرض ليدفن فيها غرابًا مَيِّتًا؛ ليدل قابيل كيف يدفن جثمان أخيه؟ فتعجب قابيل، وقال: أعجزت أن أصنع مثل صنيع هذا الغراب فاستر عورة أخي؟ فدقن قابيل أخاه، فعاقبه الله بالندامة بعد أن رجع بالخسران.

قوله عز من قائل «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ» ﴿الأنفال 59﴾ يُعْجِزُونَ: يُعْجِزُ فعل، وَنْ ضمير. ولا يظنن الذين جحدوا آيات الله أنهم فاتوا ونجوا، وأن الله لا يقدر عليهم، إنهم لن يُفْلِتُوا من عذاب الله. قوله جل جلاله «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا» ﴿فاطر 44﴾ لِيُعْجِزَهُ: لِيُعْجِزَ فعل، هُ ضمير. أولم يسر كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمرود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة»؟ وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليماً بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم. قوله سبحانه وتعالى «وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» ﴿الجن 12﴾ نعجز فعل، وأنا أيقنا أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمرًا أينما كنا، ولن نستطيع أن نُفْلِتَ من عقابه هربًا إلى السماء، إن أراد بنا سوءًا.

ورد الفعل يعجز ومشتقاته في القرآن الكريم: أَعَجَزْتُ، بِمُعْجِزِينَ، يُعْجِزُونَ، مُعْجِزِي، مُعْجِزِينَ، عَجُوزٌ، مُعَاجِزِينَ، عَجُوزًا، لِيُعْجِزَهُ، بِمُعْجِزٍ، أَعْجَازٌ، نُعْجِزُ، نُعْجِزُهُ. جاء في معاني القرآن الكريم: عجز عجز الإنسان: مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره. قال تعالى: «كأنهم أعجاز نخل منقعر» (القمر 20)، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة. قال تعالى: «أعجزت أن أكون» (المائدة 31)، وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزا. قال: «واعلموا أنكم غير معجزى الله» (التوبة 2)، ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ (الشورى 31)، «والذين سعوا في آياتنا معاجزين» (الحج 51)، وقرئ: ﴿معجزين﴾ (وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء. انظر: إرشاد المبتدي ص 450) فمعاجزين قيل: معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا؛ لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا في المعنى كقوله: «أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا» (العنكبوت 4)، و (معجزين): ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نحو: جهلته وفسقته، أي: نسبته إلى ذلك. وقيل معناه: مثبطين، أي: يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم (انظر: الكشف عن وجوه القراءات 123/2)، كقوله: «الذين يصدون عن سبيل الله» (الاعراف 45)، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور. قال تعالى: «إلا عجوزا في الغابرين» (الصفوات 135)، وقال: «أألد وأنا عجوز» (هود 72). وعن تفسير غريب القرآن لفخر الدين الطريحي النجفي: «عجز» (هود 20) مقدرين إعجاز ربهم وظانين إنهم يفوتونه وقرئ معجزين و «ليعجزه» (فاطر 44) أي ليسبقه ويفوته، و «معاجزين» (الحج 50) (سبأ 5) (سبأ 38) الأنبياء يقاتلونهم ليعجزوا و «غير معجزى الله» (الانفال 2) (الانفال 4) أي لا يفوتونه وإن أمهلهم، و «أعجاز نخل منقعر» (القمر 20) أي أصول نخل منقطع، و «أعجاز نخل خاوية» (القلم 7) أي أصول نخل بالية. قوله سبحانه «كأنهم أعجاز نخل منقعر» (القمر 20) يعني إنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أصول نخل منقعر عن أماكنه ومغارسه.

عن تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي: قال الله تعالى عن أعجاز ومشتقاتها «تَنَزَعُ النَّاسُ كَأَنَّهْمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» ﴿القمر 20﴾ «تَنَزَعُ النَّاسُ» تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد «كأنهم» وحالهم ما ذكر «أعجاز» أصول «نخل منقعر» منقطع ساقط على الأرض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنت في الحاقة «نخل خاوية» (الحاقة 7) مراعاة للفواصل في الموضوعين. قوله جلت قدرته «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» ﴿الحاقة 7﴾ «سخرها» أرسلها بالقهر «عليهم سبع ليال وثمانية أيام» أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء «حسوما» متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم، «فترى القوم فيها صرعى» مطروحين هالكين، «كأنهم أعجاز» أصول «نخل خاوية» ساقطة فارغة. وجاء في التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي: قوله عز وجل «كأنهم أعجاز نخل منقعر» (القمر 20) فالآية الكريمة فيها ما فيها من التفضيح لما أصابهم من هلاك واستئصال. وشبيهه بهذه الآية قوله تعالى: «كأنهم أعجاز نخل خاوية» (الحاقة 7) أهلكتهم الله تعالى دون أن تنفهم أموالهم، أو قوتهم التي كانوا يدلون بها ويقولون: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» (فصلت 15).

والنخل بدون ثمر فهي اعجاز خاوية «أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (الحاقة 7)، و«أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» (القمر 20). وجاء في الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: قوله تعالى «تَنَزَعُ النَّاسُ كَأَنَّهْمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» (القمر 20). «منقعر» من مادة (قعر) بمعنى أسفل الشيء أو نهايته، ولذا يستعمل هذا

المصطلح بمعنى قلع الشيء من أساسه. «أعجاز» جمع (عجز) على وزن (رجل) بمعنى خلف أو تحت، و قد شبهوا بالقسم الأسفل من النخلة و ذلك حسبما يقول البعض لأنّ شدة الريح قطعت أيديهم و رؤوسهم و دفعتها باتجاهها، و بقيت أجسادهم المقطعة الرؤوس و الأطراف كالنخيل المقطعة الرؤوس، ثمّ قلعت أجسادهم من الأرض و كانت الريح تتقاذفها. قوله سبحانه «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (الحاقة 7) حيث شبه جسومهم بجذوع النخل الساقطة على الأرض. إنّه لتشبيهه رائع يصور لنا ضخامة قامتهم التي اقتلعت من الجذور، بالإضافة إلى خواء نفوسهم، حيث أنّ العذاب الإلهي جعل الريح تتقاذف أجسادهم من جهة إلى أخرى. «خاوية» من مادة (خواء) على وزن (خواء) في الأصل بمعنى كون الشيء خالياً، و يطلق هذا التعبير أيضاً على البطون الجائعة.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: قوله تعالى «نَزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» (القمر 20) لماذا جاءت بالتأنيث في سورة الحاقة «كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (الحاقة 7) وفي القمر «كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» (القمر 20) وهي وصف للنخل في الحالتين لكن إحدى الآيتين بالتأنيث والأخرى بالذكر. رجعت لكتب التفسير التي تقول أنها متناسبة لخواتيم الآيات لكن في نفسي أنها ليست للفاصلة وحدها وقطعاً هناك أمر غير الفاصلة ووصلت إلى إجابة وكتبتها في كتاب بلاغة الكلمة في القرآن. ثم اهتمت إليها عَرَضاً في صنعاء. عندنا قاعدة أن التأنيث قد يفيد المبالغة والتكثير يعني رجل راوية، داعية هذه فيها مبالغة مثل علام علامة، حطم حطمة، همز همزة هذه مبالغة وهذه قاعدة لغوية وتعني التكثير «قالت الأعراب أمنا» (الحجرات 14) بالتأنيث وقال «قال نسوة في المدينة» (يوسف 30) الأعراب أكثر. قال تعالى «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)» (القمر 19-20) وقال في يوم واحد بينما في سورة الحاقة قال «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (الحاقة 7) أيها الأكثر سبع أيام لبليها أم يوم؟ سبع أيام فجاء بالتأنيث للدلالة على المبالغة والتكثير ثم قال في الحاقة قال (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» (الحاقة 6) وفي القمر قال «رِيحًا صَرْصَرًا» (القمر 19) لم يقل عاتية فزاد العتو وزاد الأيام في الحاقة فيكون الدمار أكبر فقال خاوية لأن الخاوية أكثر من منقعر لأن كل منقعر هو خاوي والخواوي عام يشمل المنقعر وغير المنقعر فجاء بكلمة خاوية التي هي أعم من منقعر وجاء بالتأنيث للمبالغة والتكثير وصفة الرياح أقل ريح صرصر لذا قال بعدها «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ» (الحاقة 8).

وعن التشبيهات القرآنية جاء في موقع إسلام ويب: التشبيه الأول: قوله تعالى: «نزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر» (القمر 20). فقد كذبت عاد بالنذر التي جاءت، ولم يفلح معها إنذار، ولا توعده، فأرسل الله عليهم ريحاً عاتية استمرت سبع ليالٍ وثمانية أيام، ذاقوا فيها أشد العذاب، وكثيراً من الويلات. ولما رأوا الشدة التي حلت بهم، بادروا إلى حفر الأرض، وإقامة السراييب، ثم الاختباء في أعماقها، مخافة الهلاك والفناء، إلا أن قوة الريح وعتوها انتزعتهم من أعماق تلك السراييب، وقذفت بهم فوق سطح الأرض صرعى، كأنهم أصول أشجار نخل، اقتلعت من جذورها العميقة، وقذف بها خاوية مهملة. قال صاحب الكشاف: (كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً، وهم جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع، منقعر: منقلع عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم، فتبقى أجساداً بلا رؤوس). فالآية الكريمة شملت قوم عاد المطروحين على الأرض بأصول النخيل المقطوعة، التي تُقلع من منابتها، إذ تزول فروعها، ويتحات ورقها، فلا تبقى إلا الجذوع الأصلية، فلذلك سميت أعجازاً. وذكرت بعض كتب

التفسير، أن هذا التشبيه لقوم عاد بالنخل، إنما مرده إلى ما كانوا عليه من طول في القامة، ومتانة في الأبدان، تمكنهم من مواجهة البأساء والضراء، ومع ذلك فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً، وحق بهم العذاب، جراء عتوهم، وتكبرهم، وتجبرهم. التشبيه الثاني: قوله سبحانه: «فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية» (الحاقة 7)، التشبيه في هذه الآية يصف النخل بـ (الخواء)، فيُحتمل أن يكون وصفاً لـ (القوم)، فإن الريح كانت تدخل أجوافهم، فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف، ويحتمل أن تكون (الخاوية) بمعنى (البالية)، لأنها إذا بليت، خلت أجوافها، فشبهوا بعد أن أُهلكوا بالنخيل البالية. قال الألويسي: (وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، وهي أصولها بلا فروع، لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم، فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال).

